المحور السادس: النظرية الوظيفية في علم الاجتماع

المحاضرة (10)

نظرية الفعل الاجتماعي والنسق الاجتماعي عند تالكوت بارسونز:

- تالكوت بارسونز و النظرية الكبرى(1902- 1979):

ولد تاكولت بارسونز سنة 1902 بكلورادو سبرينغ من عائلة محافظة و بروتستانتية، أبوه كان راهبا في الكنيسة. سافر إلى أوروبا لدراسة البيولوجيا والفلسفة واكتشف هناك العلوم الإجتماعية بلندن. تأثر وأعجب بمالينوفسكي ونظريته الوظيفية، واكتشف أيضا الإقتصادي ألفرد مارشال، وقضى بعدها سنين بهايدلبرغ بألمانيا أين درس مؤلفات فيبر،دوركايم، باريتو. بعد عودته إلى أمريكا وجد منصبا بجامعة هارفارد، وفي سنة 1937 نشر كتابه بناء الفعل الإجتماعي الذي حمل طموحه الثقافي و العلمي.لقد كانت أسئلته الأساسية تدور حول الأسئلة الجوهرية في علم الإجتماع:في أي شروط يكون المجتمع ممكنا؟ ما هي أسس الفعل الإجتماعي؟ كيف يمكن الجمع بين الفعل الفردي و النظام الإجتماع؟

بارسونز أراد أن يجيب عن كل الأسئلة من خلال إدماجه لكل ما تلقاه في أوروبا ومن خلال العلماء الذين تأثر بهم، حيث اهتدى بارسونز إلى الحل المعياري، الذي يأخذ بعين الإعتبار القيم و المعايير الإجتماعية و الأنماط الثقافية، و ذلك بغية تحقيق التوازن و التكامل وبالتالي النظام الإجتماعي، ووضعه بعيدا عن كل تهديد قد يعصف بالبناء الإجتماعي.

حيث حاول بارسونز أن يتجاوز الحل القهري لمشكلة النظام 1588- 1679 ، والذي قدمه هوبز مقدما حلا معياريا لهذه المشكلة، لأن طبيعة المجتمع الرأسمالي في هذه الأثناء تختلف ظروفها عن الظروف التي عاشها هوبز، وبالتالي فإن الحل القهري الذي اقترحه هوبز لم يعد صالحا، لهذا وجب التفكير في ظواهر أخرى لإحلال النظام و تجنب الفوضى، والحقيقة أن فكر بارسونز كان انعكاسا للجو العام الذي عاش فيه، فلقد ظهرت أول أعماله الهامة بناء العقل الإجتماعي 1937، في وقت كان المجتمع الأمريكي يعاني من مجموعة من الإضطرابات الإقتصادية الناتجة عن أزمة 1930، حيث كثيرا ما توصف بداية العقد الرابع في أمريكا بالإنهيار العظيم Great crash ، ولقد تميزت هذه الفترة كما ذهب إلى ذلك بوتومور؛ بتبعات الحركات الإجتماعية لليسار و الراديكالية العقلية، و الحرب الأهلية الإسبانية، و إقتراب الصراع مع الدول الفاشية.

فخلافا لما كان سائدا في الولايات المتحدة الأمريكية من هيمنة الأمبيريقية في مجال علم الإجتماع، استطاع تالوكت بارسونز أن يؤسس نظرية عامة للمجتمع، الذي اعتبره كنسق واسع وكبير أين عناصره أو أجزاؤه الفرعية تؤدي لأربعة وظائف رئيسية: التكيف،متابعة الأهداف، التكامل، الحفاظ على النمط.

حيث شكل تالكوت بارسونز سوسيولوجيا مختلفة تماما لما هو موجود، وسبح ضد التيار السائد في ميدان علم الإجتماع الأمريكي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، الذي تميز بتوجه واضح نحو الأبحاث الأمبيريقية: دراسات حول المدينة (مدرسة شيكاغو)، مونوغرافيا الأزواج بميدلطاون (lynd)، lyold warner ب ينكي سيتي، أبحاث بول لازارسفيلد حول الإتصال الجماهيري، ليشكل بارسونز: مفاهيمية و تركيبية تقترح نظرية عامة للمجتمع جعلت

منه بعد بضع سنين مثل بابا الكنيسة و لكن في مجال علم الإجتماع. في البداية اتخذ باستونز موقفا من الأمبيريقية السوسيومونوغرافية، فالعلم بالنسبة له لا يمكن أن يختزل في مجرد تراكمات للمعطيات، بل يجب أن ينطلق من تساؤلات و الإعتماد على إطار نظري يعطي معنى للمعطيات الحادثة.

إن أحد أهم أسس علم الإجتماع تتعلق بأسس النظام الإجتماع الذي أسماه توماس هوبز المسألة الهوبزية ومفادها التالي: كيف يمكن للأفراد في حالتهم الطبيعية كذئاب أن يستطيعوا العيش سويا؟ حول هذا التساؤل، الفلسفة الإجتماعية كان أمامها حلان:

الأول: يرجع إلى هوبز ومفهومه "الليفايتن" ومفاده أنه يجب أن تكون هناك قوة أو سلطة قوية مثل الدولة التي تكون فوق المجتمع وهي التي تحدد قوانين الحياة للعيش سويا.

الثاني: يرجع إلى "جون لوك" ومفاده أن المجتمع هو نتيجة لعقد اجتماعي للتبادل لإلتقاء المصالح المشتركة.

بارسونز أمام هذه الوضعية لم يقتنع لا بهذا ولا بذاك لأنهما بالنسبة له غير قادرين على تحقيق النظام الإجتماعي، فالسلوكيات الإجتماعية ليست محددة فقط بالمصالح الأنانية أو الخضوع للقوانين، فالفعل الإجتماعي تحدده أيضا القيم و المعايير. هنا يظهر جليا تأثير **"فيبر"** و**"دوركايم"** و **"باريتو"** الذين بنوا استقلالية الإجتماع الذي هو فوق تبادل المصالح (المجال الإقتصادي)، الأخلاق (مجال الدين)، القوانين (المجال السياسي).

إن المجتمع يوجد أيضا كنسق من القيم، الثقافة، المعايير، فالأفعال الفردية تستطيع أن تكون في توافق فيما بينها لأن الفاعلين الإجتماعيين يتصرفون من خلال معايير و قيم المجتمع. هكذا يبدو كيف أن العلم الإجتماع يستطيع أن يحل بطريقته الخاصة مسألة النظام الإجتماعي.

وانطلاقا من هذا الإدراك يرى بارسونز أن الفعل الاجتماعي هو: كل نوع من انواع السلوك البشري الذي تدفعه وتوجهه المعاني، التي يكونها الفاعل عن العالم الخارجي مثل هذه المعاني التي يأخذها في اعتباره ويستجيب لها عند قيامه باي سلوك.

هذا الفعل الاجتماعي الذي يتشكل عند بارسانز من :

1- الفاعل الذاتي ويتمثل في القائم بالفعل الذي قد يكون فردا او جماعه او مجتمع.
2- الموقف ويتمثل المحيط الذي يقوم فيه الفاعل بفعله ويشمل الموضوعات الفيزيقية والاجتماعية، التي يرتبط بها الفعل.
3- الرموز وهي تلك الوسائل التي يرتبط من خلالها الفاعل بالعناصر المختلفة داخل الموقف وما تحويه من معاني.
4- القواعد والمعايير والقيم وهي تتحكم في توجيه الفاعل بمعنى علاقة الفاعل بالموضوعات الاجتماعية وغير الاجتماعية في بيئته.

وضمن انساق الفعل يضع بارسونز مفهوم متغيرات النمط، والتي تعني بالنسبة لنسق الفعل تلك البدائل التي تبدو في المعايير والتي بمقتضاها يختار الفرد سلوكات معينة، انها باختصار تمثل انماط توقعات الدور.

ومن خلال هذا الإدراك للفعل الإجتماعي وهذه النظرة فوق المجتمعية للفاعل، استطاع بارسونز أن يطور نموذجا عاما هدفه الأخذ بعين الإعتبار النسق الإجتماعي في كليته. فمن خلال مؤلفه "النسق الإجتماعي" سنة 1951 وبعض المؤلفات الاخرى بارسونز دافع عن

نظرة نسقية ووظيفية للمجتمع، فلكي يكون المجتمع مستقرا، و يستمر في الوجود يجب أن يستجيب لعدة وظائف او متطلبات او مستلزمات أو ضرورات وظيفية للنسق الفعل:

- التكيف مع المحيط الذي يضمن بقاء المجتمع.
- متابعة الأهداف لأن نسق لا يعمل إلا إذا كان موجا نحو هدف.
- التكامل بين أعضاء المجتمع.
- الحفاظ على النمط والمعايير.

وقد إختصر بارسونز هذه الوظائف الأربعة في الشعار التالي: A.G.I.L ، **-Adaptation goal-integration-lattenpattern** ،ولقد تم التفصيل في هذه المتطلبات الوظيفية في عنظر مفاهيم النظرية الوظيفية في المحاضرة (08) ارجع لها لمزيد من الفهم والاطلاع.
وحسب بارسونز فإن هذه الوظائف تتطابق مع أنساق فرعية للفعل على الشكل التالي:

- النسق الفرعي العضوي يتطابق مع التكيف.
- النسق الفرعي الشخصية يتطابق مع تحديد الهدف
- النسق الفرعي الثقافي يتطابق مع الحفاظ على النمط والمعايير.
- لنسق الفرعي الإجتماعي يتطابق مع التكامل الإجتماعي.

وحسب بارسونز فإن هذه الوظائف تتطابق مع الأنساق الاجتماعية و الواقع الملموس أوالمجتمع على الشكل التالي:

- نسق الاقتصاد يتطابق مع التكيف.
- نسق السياسة يتطابق مع تحديد الهدف
- نسق التنشئة الاجتماعية يتطابق مع الحفاظ على النمط والمعايير.
- نسق الروابط الاجتماعية يتطابق مع التكامل الإجتماعي.

وكل واحد من هذه الأنساق يضمن بدورها الوظائف الأربع السالفة الذكر.
لقد كان هدف بارسونز إيجاد حل للمشكلة التالية: كيف يمكن تواجد نظام اجتماعي منظم في بلد حر أين الأفراد يختارون بكل حرية نشاطاتهم "؟.